الباب الأول

بين يدي الحلم

الفصلُ الأوّلُ : الحلمُ في ميزان الأخلاق والأدب .

الفصلُ الثَّاني : من معاني الحلم في معاجم اللغة .

الفصلُ الأوّلُ

الحِلْمُ في ميزانِ الأخْلاقِ والأدَبِ

* في رحابِ الحِلْمِ وآدابه ، نحيا هذه الصَّفحات النَّضرات ، ننعُمُ في نعيمه ، ونتفيَّأُ في ظلاله ، ونقتطفُ من زهر رُباه ، ونستروحُ عِطْرَ شَذاه ، إذ الحلمُ سيِّد الأخلاق والفضائل ، وينبوع خير الخصائل ، ومصدرُ كلِّ سكينةٍ ووقار ، ومنبعُ كلِّ خيرٍ تقعُ عليه الأبصار .

* فالحلمُ من أشرفِ الأخلاقِ ، وأحقِّها بذوي الألباب الأنجاب ، لما فيه من سلامة العرض ، وراحةِ الجسد ، واجتلاب الحمد ، فلا نكادُ نجدُ خليقةً طيِّبةً ، ولا نتيجةً حسنَةً ، ولا غايةً حميدةً ، ولا نهايةً سعيدةً ، إلا كان الحلمُ طريقَها ، والموصلَ إليها لأنَّه يقتلعُ الشَّرَّ من جذوره ،

ويُطفىءُ النّارَ في أوّلها ، ويقضي على كلِّ فتنةٍ في مهدها ، ويرغمُ الشَّيطانَ ، إذ أوّلُ ما حوربَ به الشَّيطانُ الحلم والأناة ، وبذلك اندحرَ وخَنَسَ ، وقد قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أوّلُ عوض الحليم عن حلمه أنَّ النّاسَ أنصارُهُ[1] .

* والحلمُ أدبٌ رائعٌ من آدابِ الإسلام ، يهبُ اللهُ هذه السِّمَةَ الطيِّبةَ مَنْ أحبَّ من عباده ، ومن الطريفِ أنَّ بعضَ العلماءِ جعلَ الحلمَ مُقدَّماً على العقلِ فقال : الحلمُ أرفعُ من العقلِ ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ تسمَّى بالحلم ، ولم يتسمَّ بالعقل .

* قال بعضُ الأدباء وقد رأى السِّلْمَ في ثنايا الحلم : مَنْ غرسَ شجرةَ الحلم ، اجتنى شجرةَ السِّلْمِ .

* ولعلَّ الحلمَ من أرفعِ الخصائلِ المحمودة ، وأحسنِ الحصائلِ الموجودة ، ولو لم يكن في الحلم خَصْلةٌ تُحْمَدُ إلا

---

(١) وفي لفظ آخر أنَّ عليًّا قال : حلمُكَ عن السَّفيه يكثرُ أنصارَكَ عليه .

ترك اكتساب المعاصي ، والدُّخول في المواضع الدَّنسة ، لكان الواجبُ على العاقلِ ألا يفارقَ الحلمَ ما وجد إلى استعماله سبيلاً .

* قال أبو حاتم البستي ـ رحمه الله ـ : إنَّ من نفاسةِ اسم الحلم وارتفاع قدره ، أنَّ الله جلَّ وعلا تسمَّى به ، ثمّ لم يسمِّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله ، وإسماعيل ذبيحه ، حيث قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[1] [الصافات : ١٠١] .

* إنَّ الحلمَ سجيَّةٌ وتجربَةٌ يكتسبُها المرءُ العاقلُ ويستفيدُ منهما في حياته ، وقد أُثِرَ عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قوله : لا حلمَ إلا بالتّجربة .

* وممّا أُثِرَ عن أبي الدَّرداء رضي الله عنهما قوله المشهور : إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ ، وإنّما الحلمُ بالتحلُّمِ ، ومن

---

(١) روضة العقلاء (ص ١٤٦) .

يتوخَ الخيرَ يُعْطَهُ ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه[1] .

ولله دَرُّ مَنْ قال فأحسنَ وأجاد :

فارْضَ بما حُمَّ من قضاءِ ... يُصِبْكَ من ذلك الخيار
وعِشْ حميداً رخي بالٍ ... ما زانكَ الحلم والوقار

* إنَّ أوَّلَ درجاتِ الحلم ضبطُ النَّفسِ ، ومصافاةُ الصَّديق ، والبعدُ عن السَّفَهِ والسُّفهاء ، وعن الغضب وهيجان النَّفس ، لأنَّ مَنْ حَلُمَ ساد ، ومَنْ تفهَّمَ ازداد ، وما ذَبَّ عن الأعراضِ كالحلم والصَّفح والإعراض ؛ قال بعضُ بُلغاءِ الشُّعراء :

أحبُّ مكارم الأخلاقِ جُهدي ... وأكرهُ أن أعيبَ وأن أُعابا
وأصفحُ عن سِبابِ الناس حلماً ... وشرُّ النّاسِ من يهوى السِّبابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تهيَّبوهُ ... ومَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فلن يُهابا

* إنَّ العاقلَ إذا ما جارى السَّفيه في سفهه ، ونأى عن

---

(١) روضة العقلاء (ص ١٤٦) .

الحلم ، وكافأهُ بفعله ، فهل هو إلا مثلُه ؟! بل أدنى منه ، ولكنّه إذا ترفَّعَ عن طيشه فإنّه يقهرُه بالحلم ، والفضل :

إذا أنا كافيتُ الجَهولَ بفعلِه فهل أنا إلا مثلُهُ إذْ أحاورُه
ولكن إذا ما طاشَ بالجهلِ طائشٌ عليَّ فإنّي بالتَّحلُّمِ قاهِرُه

* وممّا يزيدُ في رصيدِ الآدابِ الإسلاميَّةِ أدبُ الحلم ، وهو رداءٌ عظيمٌ من أردية العلم ، وتاجٌ من أجملِ تيجانِ المعرفة ، فقد ورد أنَّ رجُلاً كتب إلى أخٍ له : اعلمْ أنَّ الحلمَ لباسُ العلم ، فلا تعرينَّ منه .

* وكانت دعواتُ أُدباءِ العلماءِ قديماً وحديثاً إلى التَّحلِّي بالحلم ولزومه وتعلُّمه ، فإنَّ المرءَ الحليمَ يرتقي درجات العلا بحلمه ؛ قال أبو حاتم البستي ـ رحمه الله ـ : العاقلُ يلزمُ الحلم عن النَّاسِ كافّة ، فإن صَعُبَ ذلك عليه فليتحالم ؛ لأنَّه يرتقي إلى درجة الحلم[1] .

* إنَّ أوَّلَ الحلمِ المعرفةُ ، ثم التَّثبُّتُ ، ثمَّ العزمُ ، ثمَّ

---

(١) روضة العقلاء (ص ٣٤٧) .

التَّصبُّرُ ، ثمَّ الرِّضا ، ثمَّ الصَّمتُ والإغضاءُ ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأمّا من أحسنَ إلى المحسنِ ، وحَلُمَ عمَّن لم يؤذِهِ ، فليس ذلك بحلمٍ ولا إحسانٍ .

* ومكارمُ الأخلاقِ كلُّها رائعةٌ ، ولكن هنالك فضائلُ تزدادُ حُسناً إذا جُمِعَ بعضها إلى بعض ، فما ضُمَّ شيءٌ إلى شيءٍ هو أحسن من حلمٍ إلى علمٍ ، وما عُدِمَ شيءٌ في شيءٍ هو أقبحُ من عدم الحلم في العالِمِ ، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل ؛ والآخر الصَّبر .

* والحلمُ دفعُ السَّيِّئة بالحسنة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ـ٣٥] .

* والحلمُ دعامةُ العقلِ ، فليس الحليمُ مَنْ إذا ظُلِمَ حَلُمَ حتى إذا قدر انتصر ؛ ولكنّ الحليمَ العاقل مَنْ ظُلِمَ فإذا قدر غفرَ وعفا .

* والحلمُ جوهرٌ في الإنسان ، يصدرُ عن صَدْرٍ سالمٍ من

الغـوائـلِ والأذى ، صـافٍ مـن شـوائـبِ الكَـدَرِ والقـذى ، لا يُستطاعُ تعلُّماً ، ولا يُدركُ تبصُّراً وتفهُّماً ، كما قال أبو الطيِّب أحمد بن الحُسين المتنبّي :

وإذا الحلمُ لم يكن عن طباعٍ لم يكن عن تقادُمِ الميلادِ[1]

* ويُقال : الحليمُ سليمٌ ، والسَّفيهُ كليمٌ .

* وقال محمد بن عجلان : ما شيءٌ أشدُّ على الشَّيطان من عالمٍ معه حلم ، إن تكلَّمَ تكلَّمَ بعلم ، وإن سكتَ سكتَ بحلم ، يقول الشَّيطانُ : سكوتُه عليَّ أشدُّ من كلامه[2] .

* وقد امتدحَ الفُضلاءُ الحلم فقالوا : الحلمُ والأناةُ توءمان ينتجهما علوُّ الهِمَّةِ .

* ومن كلام النبوَّةِ : « كادَ الحليمُ أن يكون نبيًّا » .

* وقالوا : الحلمُ مطيَّةٌ وطيئةٌ تبلِّغُ راكبَها قاصية المجد ، وتُملِّكُهُ ناصيةَ الحمد .

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ٤٨) .
(٢) المستطرف (١/ ١٩٢) .

* وقال أبو هلال العسكري : ومن أشرف نعوتِ الإنسان أن يُدعى حليماً ، لأنَّه لا يُدعاه حتى يكون عاقلاً وعالماً ومصطبراً ومحتسباً وعفوًّا وصافحاً ومحتملاً وكاظماً ؛ وهذه شرائفُ الأخلاق ، وكرائمُ السَّجايا والخِصال .

* * *

الفصلُ الثّاني

من معاني الحِلْمِ في معاجِمِ اللُّغَةِ

* تُتحفُنا المعاجمُ العربيةُ قديمُها وحديثُها في توضيح معنى كلمة الحلم ، ولعلَّ أكثر مَنْ توسَّعَ في هذا المجال هو العلاّمةُ ابنُ منظور ـ رحمه الله ـ حيثُ وقف طويلاً عند مادّة الحلم ، ولذا فإنّنا سنعيشُ أويقات حلوة ونحنُ نقرأُ ما جادت به أنفاسُ ابن منظور عن الحلم ، فيقول ما مفاده ومُلخَّصه ومحصّله :

« الحِلْمُ » : بالكسر : الأناةُ والعقلُ ، وجمعُه : أحلام وحلوم .

وفي التَّنزيل العزيز : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور : ٣٢] .

وقال جرير :

هـل مِـنْ حلـومٍ لأقـوامٍ فتنـذرهـم
ما جرَّب النّاسُ من عضّي وتضريسي ؟

وأحلامُ القوم : حلماؤهم . ورجلٌ حليمٌ من قومٍ أحلام وحُلماء .

وحَلُمَ : بالضمِّ ، يحلمُ حِلْماً ، صارَ حليماً .

وحَلُمَ عنه وتحلَّمَ سواء ؛ وتحلَّم : تكلَّفَ الحلم ، قال الشَّاعر :

تحلَّـمْ عـن الأدنَيْـن واستَبْـقِ وُدَّهـم
ولـن تستطيـعَ الحلـمَ حتّـى تحلَّمـا

وتحالَم : أرى من نفسه ذلك وليس به .

والحلم : نقيضُ السَّفَه ، وشاهدُ حَلُمَ الرَّجلُ بالضمّ ، قول عُبيد الله بن قيس الرّقيات :

مُجرَّبُ الحزمِ في الأمور وإنْ خفَّـتْ حلـومٌ بـأهلِهـا حَلُمـا

وحلَّمه تحليماً : جعله حليماً ؛ قال المُخبَّل السَّعدي :

وَرَدُّوا صُـدورَ الخيـلِ حتّـى تنهنَهَـتْ
إلـى ذي النُّهَـى واستيـدهـوا للمُحلِّـمِ

أي أطاعوا الذي يأمرهم بالحلْمِ . وقيل : حلَّمه : أمره بالحلم .

* وفي حديث النَّبي ﷺ في صلاة الجماعة :

« لِيَلِيَني منكم أُولو الأحلامِ والنُّهى » ؛ أي ذوو الألبابِ والعقول ، واحِدُها حِلْمٌ بالكَسْرِ ، وكأنّه من الحِلْمِ الأناة والتَّثبُّت في الأمور ، وذلك من شعائرِ العُقلاء ، وأحلمتِ المرأةُ إذا ولدتِ الحُلماء .

* « والحليمُ » ؛ في صفة الله عزَّ وجلَّ معناه : الصَّبور ، وقال : معناه أنَّه الذي لا يستخفُّه عصيانُ العُصاة ، ولا يستفزُّه الغضب عليهم ، ولكنّه جعلَ لكلِّ شيءٍ مقداراً ، فهو مُنْتَهٍ إليه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] ، قال الأزهري : جاء في التَّفسير أنَّه كنايةٌ عن أنّهم قالوا : إنّكَ لأنتَ السَّفيهُ الجاهل ؛ وقيل : إنّهم قالوا على

جهةِ الاستهزاء ؛ قال ابنُ عرفة : هذا من أشدِّ سِبابِ العربِ أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبهِ إذا استجهله : يا حليم! أي أنتَ عند نفسكَ حليم ، وعند النّاس سفيه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان : ٤٩] ، أي بزعمكَ وعند نفسك ، وأنتَ المهينُ عندنا[١] .

* وعند أحمد بن فارس ـ رحمه الله ـ نجد معاني أخرى جميلة للحلم ، حيث عقدَ في كتابه « مجمل اللغة »فصلاً عن الحلم فقال :

حلم : الحِلْمُ : تركُ الإعجالِ بالعقوبةِ ، وتركُ الطّيشِ ، يقال : حلُمْتُ عنه ، أحلُمُ حلماً ، وحَلِمَ الأديمُ حَلَماً ، إذا تثقَّبَ وفسد ، قال الشَّاعر :

فإنَّكَ والكتابَ إلى عليٍّ كدابغةٍ وقدْ حَلِمَ الأديمُ[٢]

---

(١) لسان العرب (١٢/١٤٦) بتصرف يسير جداً .
(٢) مجمل اللغة (ص ١٨٠) مادة حلم ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، طبعة ١٩٩٤ م .

* ونقرأُ عند الزَّمخشري عن الحلم فيقول ما مُلخَّصهُ : يُقال : حَلُمَ فلان ، فهو حليمٌ ، وفيه حِلْمٌ أي أناة وعَقْل ، وهو من ذوي الأحلام ، ولهم أحلام عاد ، وتحلّم : تكلَّف الحِلْمَ ، قال حاتم :

تحَلَّـمْ عـن الأدنيـن واستبـقِ ودَّهـم
ولـن تستطيـعَ الحِلْـمَ حتـى تحلّمـا

وحَلُمَ عن السَّفيه ، واللهُ حليمٌ عن العُصاة : لا يعاجلهم بالعقاب[1] .

* وقال الفيومي في المصباح المنير : حَلُمَ : بالضَّمّ ، حِلْماً ، بـالكسـر : صفَـحَ وستـر ، فهـو حليـم ، وحلَّمتُـه بالتَّشديد : نسبتُه إلى الحِلْم ؛ وباسم الفاعل سُمّي الرَّجلُ مُحلِّم ، ومنه : مُحلِّم بن جثّامة ، وهو الذي قتلَ رجلاً بذحَل الجاهلية بعد ما قال لا إله إلا الله ، فقال عليه السَّلام :

---

(١) أسـاس البـلاغـة (ص ١٤٠) دار الفكـر ، بيـروت ، طبعـة ١٩٩٤ م .

« اللهمَّ لا ترحم محلّماً » ، فلمّا مات ودُفِنَ لفظته الأرضُ ثلاثَ مرَّاتٍ[1] .

* وعند أبي البقاء الكفوي نجد أنَّ الحلمَ له مساحة في « كليّاته » ومنها : حَلُمْت : عن الرجل أحلُمُ حُلْماً وأنا حليم ، وبابه كَرُم ، ومصدره الحِلْمُ بالكسر ؛ وهو الأناة والسُّكون ، مع القُدرة والقوّة[2] .

* * *

(١) المصباح المنير للفيومي (ص ١٤٨) .
(٢) الكليّات (ص ٤٠٤) .